

**طبنة في مجال العلاقة بين زناتة والفاطمين
حتى نهاية عهد المنصور الفاطمي**

طبنة في مجال العلاقة بين زناتة والفاطميين حتى نهاية عهد المنصور الفاطميين

لقبال موسى
استاذ كرسي التاريخ الاسلامي
ورئيس المجلس العلمي لمعهد التاريخ
جامعة الجزائر

من بين الميزات الكثيرة لتاريخ المسيرة المذهبية الحمراء، في مغربنا الاسلامي، ميزة اختيار دار الهجرة والقرار، والعصبية الحليفة قبل بدء حركة الدعوة والانتشار. فقد اختار الاباضية بعد اجتهاد، الاجراء الشرقية والوسطى من المغرب الاسلامي، بين البشر، نفوسة ولو انة وهزاته وزواغة وزناتة، كما اختار الصفريه مضارب مكناسة البتريه في صحراء سلجاسة بالمغرب الأقصى. هذا ايضا استقرآل الحسن العلويون الزيدية بثقلهم في معاقل الاطلس في مضارب أروبة واحلافها اليرانس. وفي حماية زعيمها أبي ليل عبد الحميد بن اسحاق الاوروي ذي الميول الواصلية.

أما العلويون آل الحسين، الاسماعيلية فلم يبق لهم بعد توزيع الخريطة السياسية المذهبية، والتزام أغلب البتر بالحركة الخارجية في شكلها الصفري والاباضي الوهبي والتكاري، أو بالحسنية الادريسية والسليمانية والمحمدية في شكلها السني والواصلي الا اختيار مكان آخر، لم يكن غير مضارب كتامة والاحلاف من فرع البرانس المستقرين لوضع اسس دار الهجرة والاستقرار قبل بدء البذر، وحركة الانتشار.

وقد لوحظ يومئذ في هذا الاختيار، مصلحة الحركة، وحاجتها الى منعه المكان وعزلته، وفضاء اهل عن السلطة، وبراءتهم من التحزب السياسي المذهبي الا لاهل السنة والجماعة هذا مع ما لوحظ من توتر علاقتهم بجيرانهم، وبأهل الغلبة والاستيلاء من ولاتهم، وأيضا بحماهم آل الاغلب ائباع العباسيين الهاشميين.

ولم يكن في إعتبار رواد الحركة ودعاتها ما تصوره كتلة زنانة وعموم البتر خطاً ، من أن في الامر تدبيراً مسبقاً ، وخلفية سيئة ترمي الى اذلال عصبيتهم عن طريق تهميشهم ، وتتبع عنصرهم ومحو مذهبيتهم وهويتهم .

فالتصور الخاطيء من طرف زنانة واليتر ، أدى بهم الى متاهات والى حركة عداء وتحد قلب المنطقة نارا على الغالب والمغلوب .

وحقيقة موقف زنانة من التطورات تكمن في الغيرة من المذهبية الجديدة ومن كتامة التي ظهرت فجأة في ميدان التوجيه السياسي والمذهبي والاقليمي في الساحة المغربية ، مؤسسة لنظام ، حارسة لمذهب ورأس حلف عتيد قوامه البرانس الذين تفجرت عقدة التفوق في نفوسهم ، فهبوا بداعي العصبيية يدافعون عما اعتبروه ، مكسبا لهم ، ضد تيار معاد تزعمته زنانة واحلافها هؤلاء الذين رفضوا الاعتراف بالصيرورة التاريخية ، وبالأمر الواقع سياسيا ومذهبيا وبشريا .

وكان النضال مريرا وياما اقساه من نضال خلا من النبل والتعقل ، شهدته مرايع المغرب الاوسط خاصة في مجالات طبنة والزاب ، وتاهرت وخصوص الشلف والونشريس وتلمسان .

وهذا منذ وقت مبكر يرقى الى عصر توسع الحركة الاسماعيلية في حواضر الزاب وإفريقية ، أيام كان الداعي الايكجاني دائب الحركة من دار الهجرة ، وكان عبيد الله أمام الزمان أسير شرف بين صفرية بني مدرار . فالنصوص غير السنية في اشارة معبرة عن بداية الشرارة أو بداية الاحتكاك أو التحدي الزناني ، تذكر أن يحيى بن سلمى عامل طبنة من طرف الداعي أبي عبد الله جد للقاءه بسرعة في مدينة باغاية ، وهو في طريقه الى اقليم قسطينية (الجريد) لكي يخبره بان رسله الاربعة عشر الكتامين الذين أرسلهم من قبل الى عبيد الله في سلجاسة بعد أن أدوا مهمتهم وعادوا بكتاب هام ترصدت لهم جماعة من رهط ابن خزر المغراوي قرب طبنة وقتلوهم عن آخرهم ماعد أو أحدا بقي به رمق فتحامل على نفسه الى المدينة لكي يخبر عاملها بما جرى وبموضع الكتاب الذي دفنه القوم في التراب قبل أن يواجهوا بالمصير المحتوم .

وقد تم العثور على الكتاب وتسليمه الى الداعي الذي اغتبط بمحتواه وفرح لعدم وقوعه في أيدي المعتدين .

ولما كانت هذه الحادثة غير متوقعة، وجاءت على حين غرة وعملا بمبدأ الشوري، فقد عرض الداعي الامر على العصبية وأهل الحل والعقد مبدئيا استعدادا للعودة لتأديب ابن خزر وجماعته على الغدر برجال ليس معهم غير زاد المسافر.

غير أن أهل العصبية والشوري في جيشه رأوا أرجاء النار الى وقت يكون ملائما للحركة، ولخصوا تقديرهم للموقف بقولهم «ان البلد بعيد، وهذا العسكر منا قريب، ولا نأمن أن يخالفنا الى بلدنا... وأمر زناته لايفوتنا (1) لأن الثار دين للقتلى تدفعه العصبية، وهو رصيد لذويهم يسدده الطرف الآخر في الحلف الذي بايعه القوم مسؤولا على الجماعة وهو أبو عبد الله الداعي الايكجاني.

ان مسيرة العلاقة العدائية تناوب عليها فرعا زناته : مغراوة وبنويفرن ودشنها عمليا فرع مغراوة، وآل خزر : عبد الله وفلفل ومعه، وأخوهم محمد الذي يوصف بأخي معهد في بعض النصوص.

ومحمد بن خزر درة مغراوة، وعميد خزر. كان همه تكوين دولة زناتيه مستقرة، لكن الظروف لم تسعفه الا يتجمع زناتي... فتنقل، كالزماملة، في مجالات واسعة تغطي معظم المغرب الاوسط صحراوية وسهولة، وجبال، بين الزاب وحوض الشلف والونشريس ومجالات تاهرت والاغواط، وافق تلمسان دار زناته وقاعدتها المتميزة خاصة بعد نضج علاقة الحلف مع أموي الاندلس.

وفي هذه الأرجاء السابقة، كان ابن خزر يجول ويصول في حمى العصبية، وبها يضرب بسرعة وعلى حين غرة، أما بنفسه، أو بواسطة اخوته، وابنه الخير وحفيده محمد.

وعندما كان يحس بأن عنصر المفاجأة فقد مفعوله، أو أن القوة المواجهة له أكثر عددا وأكبر استعدادا، أو أن ظروفه محلية أو قبلية غير مناسبة، كان يضبط نفسه، ويترك حصار المدن ومراكز العمران ويتحاشى الاصطدام ويصطنع السياسة والكياسة أو يتوغل في مجاهل الصحراء، مراقبا ومتظرا، ومترصدا ثغرات خصومه، وعندما يأنس ضعفا، يضرب بقوة وبدون تأخير، فالقاضي النعمان يشير إلى سرعة اتصال ابن خزر بالداعي الايكجاني بمدينة طنبه أثناء توجه هذا الأخير الى سلجاسة، ليرى ساحته من تهمة قتل رسله الكتامين، وليلطف الجو، وليتعرف على حقيقة نوايا خصمه وما قد يديره مستقبلا.

ويضيف النعمان أن الداعي من فرط انشغاله بالتهئية لتحرير المهدي، أعطى الأمان لابن خزر وقبل منه وعوده وأبانه المغلطة بأن لا يتعرض لأي كان من رجاله بسوء، غير أن ماجرى بعد ذلك أكد أن هذا الاتصال أن حصل فعلا لم يكن الا لجلس النبض، وللتجسس على النوايا، ولمعرفة امكانيات الخصم، لأن ابن خزر اهتبل الفرصة

فرصة انشغال الداعي في سلجاسة وفرض الحصار على عناصر السلطة الجديدة في تاهرت، التي أصبحت ضمن المدن الاقليمية التابعة لنظام الحركة الاسمايلية يشرف على شؤونها أبو حميد دواس بن صولات اللهيصي تساعده حامية عسكرية.

وكان في نيته من موقعه الجديد في تاهرت الواقعة على طريق سلجاسة، واعتمادا على حلفائه في داخل المدينة وهم بنو دلوس أن ينطلق بعد تثبيت الاحتلال وطرده عناصر السلطة، أن ينطلق لقطع دابر الحركة من جذورها بالتعرض لموكب عبيد الله وداعيه والجاههم الى معركة حاسمة تكون القاضية.

لكن افتضاح أمره وأمر علاقته بعناصر التآمر في داخل المدينة شجع على سرعة الحركة من طرف الوالي والجماعة فتم احباط المشروع والانتقام من بني دلوس، وقد قيل أن عبيد الله عندما وقف على حقيقة التمرد وخجمه، أمر بسرعة التحرك لتأديبه قبل أن يستفحل أمره، بيد أن ابن خزر فضل مبارحة الساحة كعادته الى مجاهل الصحراء، منتظرا فرصة سانحة لم يطل انتظاره لها، خاصة بعد أن اشتغل المهدي الجديد بالمواكب، وبلا فراج وبألوان الحياة الجديدة بين قصور وجواري زيادة الله الأخير في رقادة.

فأعاد تجديد حصار عناصر السلطة في تاهرت، ولم ينصرف الا عندما طرقت أبواب تاهرت، حملة هرون بن يونس ((شيخ المشايخ)) فدعمت موقف السلطة، ثم تقاطرت النجدات الفاطمية بعد ذلك بهدف دعم مركز الدولة الفاطمية في الجزء الغربي من البلاد أمام دسائس المروانية في الأندلس، وقد تمكنت بعض هذه النجدات من إلحاق هزيمة كبرى بابن خزر في فلك مديك بأفق تاهرت، كما استطاع مصاله بن حبوس المكناسي منذ سنة 312هـ / 925م. بعد تشديده الضغوط على مغراوة في حوض الشلف والونشريس أن يكسر حدة المقاومة، ويوجه ضربة شديدة لمراكز الانتاج في هذه البلاد، وأثناء نشاطه، تحاشى ابن خزر كعادته الاصطدام المباشر مع مصاله، وعندما عرف أنه أصبح في مركز ضعف وفي قلة من رجاله، بسبب انشغال الاكثرية بمتابعة ديار زنانة للسلب والنهب بادر مصاله مستغلا هذه الثغرة والجاة الى معركة غير متكافئة في ظرف دقيق كانت حاسمة لابن خزر وخسرانا مميتا لخصمه مصالة الذي لقي حتفه أثناء القتال. فأصبحت البلاد بعد ذلك تعيش فراغا سياسيا استعمله محمد بن خزر في تجديد ضغوطه على عناصر السلطة في

تاهرت، ولم يشنه عن ذلك الاسماعه بقرب وصول نجدة فاطمية أخرى منذ 314هـ : 927م. بقيادة موسى بن محمد الكتامي، لدعم مركز يصل بن حبوس وإلى تهرت الجديد، فانصرف محمل بمعية أخيه عبد الله، إلى مخابته التقليدية الهامة في مجاهل الصحراء باقليم الزاب، وتمركز في وادي مطماطة بقرب طبنة، انتظار التطور الأحداث، ولأن قائد الحملة الكتامي لم ينتبه إلى وجوده في المنطقة، فقد اضطر إلى خوض معركة مفاجئة وفي ظرف غير ملائم بمجرد أن شارب المنطقة فكانت بمثابة كارثة حلت به، وبأغلب رجاله في أرباض طبنة، أما السير منهم فقد نفذ بجلده إلى تاهرت دون القائد الذي لقي مصيره، وأثر المعركة قوى مركز ابن خزر في الناحية خاصة بعد أن عين أخاه عبد الله نائباً عنه في مجالات لماية الأباضية وأحلافها يتولى تسيق حركة القبائل الحليفة والاشراف على المعارك مع قوات الفاطميين يدعمه أخوه محمد بمحيط زناقي عريض.

وأمام تردى الوضع على هذا النحو المهين للدولة الفاطمية استجاب المهدي لتحدي ابن خزر، وجرد حملة كبرى بقيادة حجة المسلمين ولي العهد أبي القاسم محمد القائم منذ سنة 315هـ/ 928م لوقف تقدمه وتأديبه. ورغم الجهد الكثيف والانتعاب، والحشود العظيمة التي تدعمت بفارسان صنهاجة، ورغم المواقفة في مرايع آشير وتيتري (تابغلت وأوران) فإن النتيجة بعد عودة القائم سريعاً إلى طبنة، ومنها إلى المهديّة جاءت جد هزيمة على المستوى العسكري، إذ لم تسفر عن تعديل ميزان القوى الذي بقى راجحاً لصالح ابن خزر، الذي احتفظ بحرية الحركة ولم يلق ما يستحقه من نكال حتى الآن.

وربما كان تحسيس انصار الدولة بعظم الاخطار المستقبلية، واشعار اعدائها المغراويين بمدى اصرار الدولة على المقاومة واللاحقة حتى يقطع الحابي الفساد. من أهم النتائج التي تلمحت إليها أو أمر القائم بتهجير العناصر المشبوهة في ولائها مثل بني كملان من منطقة المسيلة إلى الأوراس، حيث غدوا من انصار أبي يزيد فيها بعد.

ثم أوامر أخرى وجهت لرئيس أسرة عربية جذامية من الاندلس هو على بن حمدون بوضع أسس قاعدة ارتكاز جديدة ومتقدمة في هوامش اقليم الزاب بجوار أزية التاريخية هي التي عرفت بالمحمدية التي أصبحت بمثابة خط الدفاع الأول، وقاعدة المواجهة والحراسة الأمامية في أي صراع مستقبلي مع زناتة.

وقد أوصى القائم ابن حمدون بأن يشحن القاعدة الجديدة بالحبوب والأزواد لتقوى على الصمود في أي جهد، وتلبي الطلب عند الحاجة، حتى لكان القائم تنبأ بما ستطور إليه أوضاع المنطقة في أخريات أيامه بفتنه زناينة أخرى تولى كبرها بنو يفرن.

وما بذله القائم من جهود أخرى بواسطة قائده، ميسور الفتى في تاهرت والجزء الغربي من الدولة، أحبطها ابن خزر عندما تأمر على ميسور وتحاليل باظهار الولاء له حتى تمكن منه وطرده على أسوأ حال وتحفظ على المدينة وغدا سيدها. . . في وقت انشغلت فيه الدولة ببوادر فتنه أبي يزيد.

وحركة أبي يزيد مخلد بن كيداد النكاري المعروف بشيخ المسلمين، وبصاحب الحمار الأشهب ظهرت منذ 316هـ، بنشاط دعائي تحت ستار التعليم، وأسس مبادئ الحسبة على العمال والولاة وتنويرا للامة، وتثويرا لهم ضد الاوضاع السياسية والاقتصادية والمذهبية للدولة الفاطمية وسرعان ما تطورت الى حركة انقلابية مذهبية عنيفة ظهرت قرونها من قلاع الاوراس محصنة بحلف هواره وبني كملان الذين كانوا وقودها وحطباها الجزل. مع غيرهم من رجال الحرب والسياسة وزعماء البتر والبرانس وحلفاء بني أمية وأدعياء النسب العباسي والمهروية فغدت بحق ميدانا مفضلا لاختبار المهارات وتصفية الحسابات، واستغلال القدرات في الهدم والتخريب ضد مركز العمران والاقتصاد والحياة الثقافية والاقتصادية في إفريقية والزاب التي أصيبت الوندال موجعة، وتكرر هنا ما حصل أثناء غزو الندال. وحركة الكاهنة وزخوف البدو، فلم يحترم هؤلاء رغم ما بينهم من خلاف في الوجهة، والاتجاه. المدن والزروع والغروس والمساجد والاربطة والكنائس والحصون، والنساء والولدان، وأموال الناس وأرزاقهم. «حتى كان البربر يأتون الى أبي يزيد من كل ناحية فينهبون ويرجعون الى منازلهم حتى أفنوا ما كان في إفريقية على حد تعبير النصوص (2) (المقريري، انعاط ج 2 ص 79، النعمان : المجالس، 1، 183).

وهذه المحنة كما سماها مؤرخ الاسماعيلية ومنظرهم القاضي النعمان بن محمد في قصيدته التاريخية الموسومة بذات المحنة، واجهها القائم بأمر الله حتى مات محصورا وفي نفسه مقهورا، وكانت قدر أبي الطاهر اسماعيل ثالث حلفاء الدور المغربي فهو الذي دمر صاحبها وشتت شمله بعد معركة حاسمة بجوار القيروان وسميت معركة الجمعة، ولاحقه مرحلة فمرحلة في منطقة الأوراس موطن العصية الحليفة، وفي الزاب والحصنة وبسكرة والمسيلة حتى انتهى الحركة بشرف لفائدة الدولة الفاطمية، واستحق بسبب ذلك لقبين تاريخيين، لقب سلطاني ظل يعرف به وهو المنصور بالله، وحتى صبرة بجوار القيروان أصبحت بعد النصر، وصبر عسكر المنصور، «المنصورية» ثم قاعدة للدولة لاسيما بعد اخلاء المهديّة العاصمة التاريخية للفاطميين، أما اللقب الثاني فهو السلاح، لتمثيله بجثة اعدائه والمتمردين على سلطانه، مثل أبي زيد، وذاك الغلام الاوراسي. الذي أدعى أنه القائم بالحق اثناء فتنه أبي يزيد. وفي المعنى أفاض شعراء الشيعة وشنعوا وقال أحدهم في ذلك :

أما النفاق فقد نسخ وأبو الكباثر قد سلخ
كان الفوسيق مخلداً قدرا ولكن قد مسخ
لو رأيت محله وبنو الحداية تصطرخ
لرأيت ماعقد اللعين بلطف ربك قد فسخ

وقال ابن المنيب مخاطب أبا يزيد :

حل البلاء بمخلد وجميع شيعته النواكر
أمسى بأرض كيانه قد بان منه كل ناظر
يرنو بطرف خاشع نظرا لمحاصر للمحاصر
يرنو الى عدد الحصى والرمل من تلك العساكر
ياخلدا يابن سبيكة باشر بيت في العشائر
ذق ماجنيته يداك قبل من الكباثر والصغائر
ذق هول شقك للبطون وما أرتكبت من الجرائر
باشر من بكيانة وكيانة شر البرابر
انظر الى القفص الذي لابد فيه أنت صائر
وانظر الى فرديك فيه ومؤنسيك ومن تجاوز
قد طال شوقا هما اليك فزرهما باشر زائر(3)

وعند تفحص مسيرة الفتنة يتبين للباحث كيف أنها كانت :

- (1) - أول إمتحان سياسي مذهبي زهيب للوجود السياسي والظل الحضاري للفاطميين في بلاد المغرب.
- (2) - كما كانت ثارا حقيقيا لما حل من قبل بالمذاهب المعارضة ، وبالكيانات السياسية المغربية المستضعفة على أيدي الفاطميين .
- (3) - وكلفت خزانة الدولة نفقات باهضة ، وخسائر مادية جسيمة .

(4) - واضرت بعصية الدولة ، وبرجالاتها الذين لقوا حذفهم اثناءها مثل ابن حمدون ، وميسور الفتى ، وخليل ابن اسحاق ، وحتى القائم بأمر الله فقد مات كمدا وحسرة ، على ماحاق به في أخريات أيامه وتلك عاقبة كل سفاكي الدماء . اما المنصور فقد

طوح في الافاق المغربية، وتعرض للأمراض، والمجاعة، وتقص المؤن والاقوات والازواد، وضرب آباط النجب بحيث حال في السهول والجبال والصحاري والفدافد، حتى ظفر بقرنه الزنائق. ولكن الاتعاب لاحقته حتى اودت به في النهاية معمود ابقرحه آعتيت امهر الاطباء في عصره.

5) - وتخللت الحركة، والاعمال المضادة لها، مظاهر بطولة ودماء وميكافالية واحلاف مشبوهة وخلف في العهود، فالمنصور اكرم اسرة ابي يزيد بعد القبض عليهم، رجاء استسلامه وأبو يزيد وعد بذلك عندما تصبح أسرته طليقة ثم رجع عن رأيه وقال انما اطلقهم المنصور خوفا مني، كما تظاهر بالتسنى وبالمالكية ليجذب اليه الفقهاء المالكية. وقد تصرف معهم بذكاء حتى تحالفوا معه ثم بعد أن استغلهم، تأمر عليهم، وقائم بامر الله شجع جماعة من عصبية ابي يزيد ضده، والمنصور استخدم المال رشوة ومكافأة للذي يقتل أبا يزيد، ومنأتى برأس ابي يزيد فله عشرة الاف دينار، ومنح الامان لبني كملان وهواره، وهم اعنتى انصاره، كما وافق على متح الامان لمحمد بن خزر شريطة التعاون لرصد حركات ابي يزيد، والتبليغ عنها.

ومعظم النشاطات الكثيفة تركزت، بعد حوافر اقريقية، في حواضر الزاب، والحضنة طبنة، والمحمدية، وبسكرة، ومقرة، وافق جبل سالات (ببوسعادة وقلعة كناية بجبل عياض).

وقد انفرد صاحب سيرة الاستاذة جوذر، يذكر معركة قصور الحيتان بالزاب التي ساوت في أهميتها معركة الجمعية بالقيروان، من حيث انها كانت ايضا بمثابة نهاية الحركة، ويشيرا بقرب الخلاص.

وشعور المنصور بذلك دفعه الى ارسال سجل عنها الى ابنه ووالي عهده معد (المعن) ضمنه فرحة النصر وشوقه اليه ومشاكله اثناء الملاحقة، وبالمناسبة انعم على وكيه جوذر، بالعتق تقربا الى الله ولقبه بمولى امير المؤمنين وسمح له بكتابة اسمع على الطراز، وهذا اعظم تشريف، لم يناله حتى بناء الدولة وأولياؤها من كتامة وصنهاجة.

وكذلك شهدت ساحات كيانه، ومعارك، الرؤوس والسودان، والحريق وكلها في افق المحمدية، هذه القلعة المنيعة - التي ادت الدور المنوط بها الى جانب السلطة الشرعية سواء بمقوماتها للحصار، او بإوائها للجيش او بمساهماتها في تخفيف الضائقة الاقتصادية.

لقد آن الأوان (أوان اخراج الحبوب التي امر القائم من قبل بتخزينها احتياطاً،

والنصوص تذكر عن المنصور أنه كان يمتار من المحمدية ما يريد ادليس بالموضع مدينة سواها (4).

كما تذكر مدى اعتماد المنصور اثناء الملاحقة على مدينة طبنة فلندع ابن حماد يرسم خط سير الملاحقة يقول، ((وسار اسماعيل... الى طبنة فأقام بها أياما كثيرة وورد عليه فيها، كتاب جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة والزاب يخبره بمحبوس عنده ثار بجبل أوراس. واجتمعت عليه (المصور) قبائل كثيرة من زواوة وصنهاجة وعجيسة - فأعطى بطبنة الارزاق ووسع على الرجال واسقط جماعة من الزمنى ومن لم يرض صحبته، ثم أتاه جعفر بن علي بهدية... وأتاه بالثائر المذكور. وسار اسماعيل فنزل بسكرة ودخلها وانتقم منها مرارا وقتل قوما من أهلها وفرق فيها الارزاق... ثم رحل الى مقرة ومنها إلى المسيلة فأقام بها أياما تعدل أعواما، .

ومما ورد في هذا النص وفي غيره، يستنتج الدراس جملة حقائق في مقدمتها : ان منطقة طبنة تضررت كثيرا اثناء الصراع، بسبب أنها كانت مجالا فسيحا لنشاط مغرواة، وأسرة ابن خزر، ونقطة عبور للحملات الفاطمية التي تواردت نجدة لتاهرت، أو تعقبا لبني خزر الذي كان يعتبر أفق طبنة مجاله الحيوي للراحة أو للاختفاء، وكذلك ظهرت أهميتها أثناء حركة الملاحقة لابي يزيد.

- فقد أقام المنصور بها أياما طويلة للراحة، ولضبط الخطة المستقبلية.

- ومنها أشرف على حركة التعبئة العامة للمعركة المرتقبة.

- وفي هذه المدينة أتنه القبائل والحشود من كل الجهات كمقدمة للتهيئة وللإصطفاء.

- وفي طبنة وصله بريد جعفر بن علي نائبه في المحمدية يخبره عن أوضاع بلاد الاوراس بعد تصفية حركة ثورية مشبوهة تزعمها غلام امرد ادعى أنه القائم بالحق والتف حوله أناس.

- وفي مدينة طبنة، تسلم هدية جعفر بن علي وكانت ثمينة، وما يرغب فيه .

- وعلى الاثر وصل جعفر بنفسه الى طبنة، ومعه الثائر الاوراسي وأعوانه مشهرين فأمر المصور بسلخ زعيم الثوار.

- ولقد اشرف المنصرو بنفسه في طبنة على عملية اختيار أكفأ الرجال فأسقط العجزة، والمشبوهين، وضعاف النفوس والجبناء وكل من اقتضت فراسته ابعادهم عن الحملة وشرفا لصحبه .

- انطلق المنصور من طبنة لتأديب المخالفين، وحلفاء أبي يزيد في نواحي بسكرة. لانهم كانوا عوناً له في التموين، بالحبوب والاقوات وفي طبنة لم ينس المنصور أيضاً جانب تدعيم المؤيدين وجذب المترددين ببذل الاموال والألطف حتى يخلص الجميع في موقفهم، وتكرر منه ذلك في بسكرة، ومع وفود زناتة في المحمدية أيضاً.

- ومن طبنة انتقل عبر مقره الى المحمدية حيث أقام بها أياماً تعدل أعواماً على حد تعبير ارحماد، وذلك لما بذله من نشاط في التعبئة، وتأليف القلوب وكسب مزيد من الحلفاء ببذل الهدايا وهكذا استقبل رسول محمد بن خزر ثم رسول ابنه الخير، الذي أعلم المنصور بأنه أقام الدعوة الفاطمية في الأغواط ونواحيها وطلب منه الاذن بضرب السكة واقام بها الخطبة ففرح المنصور، واعتبر ذلك شارة صداقة وحلف وولاء فكافأ زناتة وبني خزر برفع الخطر عن تجارتها ونشاطها في أسواق المسيلة. والقيروان وطبنة، وغيرها. بحيث يمكن بعد الآن، دخول تجارها ليشترؤا من هذه الأسواق ما يحتاجون اليه من مؤن و أسلحة مع اعفائهم التام من أية ضرائب، والتزامات مالية .

وهكذا يمكن القول بأن المنصور تمكن من تخذيل العصبية، بتحييد جانب منها هذا الجانب المغراوي الذي أمسك عن تأييد العصبية ودعم حركة أبي يزيد، والتزم برسد حركاته والتبليغ عنها، وهذا ما حصل فعلاً، عندما إختفت أخباره عن المنصور، كما ساهم بنوا خزر، بمقتضى هذه العلاقة الجديدة، في تأديب حلفاء أبي يزيد، في سد راتة وبسكرة وبنطيوخ فكان هذا تذكير شؤم عليه وخاصة بعد أن شحت المؤن، وأصبح محاصراً في قلعة كناية، لا يقوى على المناورة، ولا على فك الحصار، والانسحاب إلى حيث الأمان والنجاة في مجاهل الصحراء وأفق هواره السودان، مركز الخؤولة .

- ولسائل أن يسأل، وقد اختلطت احداث طبنة والزاب باحداث تاهرت في هذه المرحلة، لما ذالم يحاول ابن خزر اقتحام طبنة مثلما فعل مع تاهرت رغن أنها غدت قاعدة

للدولة الفاطمية وعقدة في مواصلاتها مع مركز الصراع في قلب البتر. والجواب، أن طبنة رغم تكاملها مع المهديّة في الناحية الرسميّة، إلا أن جالياتها المشهورة في مجال التجارة والعمران كان موقفها متوازنا، بل أشبه شيء بالمحايد في الصراع الدامي، لذلك استحققت تقدير الجميع، ولم ينلها مانال سكان القيروان، وهواره الغدير، وسدراته، وبسكرة النخيل من طرف المنصور.

لم يخف على ابن خزر أن سيطرته على طبنة، ليس من شأنها أن تعمّر طويلا لأن المدينة ليست من مضارب البترونات، وليس له في المدينة حلفاء يتأمر معهم، ويضغظ بهم، مثلما كان الحال مع تاهرت قلب زناتة وبلاد البتر.

- وطبنة تقرب نسبيا من مركز ثقل الدولة في المهديّة، وليس الأمر كذلك بالنسبة لتاهرت البعيدة والمفتوحة على محيط بتري، كثيف قطره زناتة بفرعيها مغراوة وبني يفرن.

- ورأى ابن خزر أن الاجدى له هو :

- استثمار موقع طبنة الوسط والاستراتيجي والقريب من حواضر افريقية لمعرفة أخبار الفاطميين وتحركات جيوشهم، ولمراقبة مواصلاتهم ونشاطهم فيما وراء الزاب حيث مضارب البتر الواسعة الأرجاء.

- وأيضا للاستفادة من ثمرة النشاط التجاري في المدينة بالتزود بما يحتاجه من مؤن وأرزاق، وكانت زناتة طرفا في المتاجرة مع طبنة والمسيلة والقيروان وغيرها من الحواضر.

- وأفق طبنة كان يتيح لابن خزر فرصة الراحة والأمن والحماية في المخايء والسباح والآدوية والمجاهل التي اشتهرت بها المنطقة ومنها وأدي مطماطة الذي ربح بجواره معركة حاسمة.

- ومن وحي ادراك الفاطميين لمدى بعد طبنة عن قلب البترونات، ولحاجتهم الى مراقبة متواصلة لهؤلاء وأحلافهم أمويي الأندلس، أشرفوا على زرع قاعدة المحمدية على هوامش اقليم الزاب، لانها تفتتح على آفاق تاهرت، وبلاد التيتري، وحوض الشلف، والونشريس.

- وما سبق، يستخلص الباحث جملة حقائق أخرى حول دور طبنة تتمحور حول :

(أ) - وقفتها الرائعة الى جانب الشرعية الخلافية اسنادا لها، وهذا ينسجم تماما مع تاريخها القديم :

(ب) - وفي خدماتها المعتبرة التي قدمتها للحملات العسكرية التي مرت بها في طريقها الى تاهرت لدعم الشرعية فيها.

(ج) - وحول معالمها وارباضها جرت معركة حاسمة عرفت بوادي مطماطة .

(د) - وفي المدينة، وقع اللقاء «المزعوم» بين الداعي الايكجاني، ومحمد بن خزر لتتقيا الأجواء، ولتبرثة دمة ابن خزر مما اهتم به .

(هـ) - وأثناء حركة أبي يزيد اليفرني حافظت المدينة على استقلالها ولم تخضع رغم شدة الضغوط والمحن هذه، التي عبر عنها المروزي بقوله : سرنا وقد حل بقرب طبنة . وصار منها أهلها في محنة .

فأعظم الله العزيز المنة : وبدلوا من بعد نار جنة .

(و) - وعندما نهض المنصور للملاحقة أزال الخوف والفرع عن أهل المدينة التي غدت قاعدة للتعبئة العامة، والتجمع والحشد والاتصال، والانطلاق أما لتأديب المخالفين، أو لمواصلة النضال ضد عدو الدولة للدود، أو العبور الى عمق افريقية أو الى المغرب الأوسط موطن زناطة .

ويعد فهذه طبنة .

انها لاحدى الكبر في افريقية ومغربنا الأوسط، جزائرنا العربية الاسلامية، قرينة القيروان، وتاهرت وسلجماسة وتلمسان .

ومع ذلك فحفظها حتى الآن أقل . اذ لم تحظ رغم التاريخية، والريادة الاقليمية، والممثل الذي ترمز اليه . . . بما حظيت به قريناتها، من تكريم بالترقية التي هي جدية بها .